لاشكَّ بوجود إختلاف في تاريخ تدوين وكتابة القرآن المجيد، في مباحث علوم القُرآن، بين كونهِ قد دوّنَ ـ كُتِبَ ـ في حياة النبي الأكرم، أو دوّنهُ الإمام علي بعد وفاة النبي بستةِ أشهر، حسب ترتيب النزول، أو دوّنَهُ الخليفة الأوّل بعد وفاة النبي بِعامٍ، بسبب حرب اليمامة ومقتل سبعين من القُرّاء، أو دوَّنهُ الخليفة الثالث، بعد مُدّةٍ لشعوره أنَّ القُرآن مُهددٌ بالتحريف والتبديل، فإستعان بِمصحف حفصة، الّذي هو أوّل نسخة من نِسخ الخليفة الأوّل[1].

أولا: كتابةُ وجمعُ القرآن في حياة النبي(صل الله عليه وآله)

أنّ طبيعة الظروف والخصائص الموضوعيّة والمُسلّمات العقليّة،التي عاشها المسلمون مع القرآن، يجعلنا نقطع،بأنّ القرآن جُمع في حياة النبي(صل الله عليه وآله)، ومن جُملة القرائن الموضوعيّة والعقليّة، هي:

أولا: القرآن الكريم دستور الأمّة، ومصدر المعارف الإسلاميّة،والحدث الأكبر والأهم في حياة المسلمين، والأساس العَقَدي والتشريعي والثقافي والأخلاقي والأدبي، ولم يكن المسلمون يملكون مخزونا فكريا وثقافيا في جميع الميادين غير القرآن، وأنّ المفاهيم القرآنيّة من التوحيد والمبدء والمعاد والكون وحياة الأمم السابقة، لم تكن معهودة أو معروفة في حياتِهم، كُلُّ ذلك يجعلنا نستبعد جدا أن القرآن لم يُجمع في حياة النبي الأكرم.

ثانيا: لقد عكف المسلمون منذ البدء على حفظ القرآن، والإنبهار بهِ، والإمتثال لِأوامره وتكاليفه وأنّهُم جزءٌ من الإصلاح الّذي دعى اليه القرآن، وأعطوه الأهميّة القصوى في حياتهم، حتّى تكوّن عندهُم مجموعةً كبيرةً من الحفظةِ للقرآن وضبطه، فليس من المعقول حفظه وضبطهُ دون تدوينه وكتابته.

ثالثا:عاش الرسول آلام الأُمّة وآمالها، وتحمُّل المسؤولية العظمة ومُجابهة الظروف المُحيطة والأخطار المُحدقة التي تُهدد الرسالة من الكفّار والمنافقين،مع تحذير القرآن من خطر التزوير والتحريف، قال تعالى{فَوَيلٌ لِّلّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بِأيدِيهِم ثُمَّ يَقولونَ هَذَا مِن عِندِ الله لِيَشتَروا بِهِ ثَمنَا قليلا فَوَيلٌ لَهُم مِمّا كَتَبت أيديهم وويلٌ لَهُم مِمّا يَكسِبون}البقرة79. كُلُّ ذلك يجعلنا نستبعد عدم كتابة ووتدوين القرآن على مدى ثلاث وعشرون عاما، والإكتفاء بحفظهِ في الصدور، وتعريض النصّ القرآني للتحريف والتلاعب المقصود وغير المقصود.

---

[1]ـ ينظر: القرأن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ترجمة أحمد الحسيني،مطبعة سبهر، قم،1404هـ.ق، ص170.

رابعا: أن أدوات وإمكانات التدوين كانت متوفرة لدى المجتمع،ولا يوجد مانع شرعي أو عقلي من التدوين والكتابة، بل العقل والشرع يُرجّحان كتابتهُ لِأجلِ حفظه من التحريف والضياع والنسيان، عند غياب المرجع الأكبر للتشريع وهو النبي(صل الله عليه وآله) ولا يحتاج إلّا الى الكَتَبة المخلصين الورعين، وهُم موجودون.

خامسا: أنّ القرآن هو البُرهان والدليل الأوّل على دعوة الرسول للرسالة، وهو مُعجزتهُ الكبرى، وهذا يستدعي الحرص الشديد والإخلاص الكبير في حفظهِ وصيانته وتدوينه.

ممّا تقدّم، يجعلنا نتيقّن ونقطع عقلا ووجدانا، بأنَّ القرآن الكريم، قد تمَّ بالفعل جَمعهُ وتدوينه في عهد النبي(صل الله عليه وآله)، ولا مجال للشكِّ في ذلك[2].

إستبعاد أن لا يكون النبي قد جمع القرآن في حياته:

يقول السيّد الطباطبائي":كان القرآن ينزل آية آية وسورة سورة، ولمّا كان يتمتّع بالفصاحة الخارقة والبلاغة الفائقة، كان ينتشر بسرعة مُذهلة،وكان العرب عشّاق الفصاحة والبلاغة، ينجذبون اليه، فيأتون من بلاد بعيدة، لإستماع بعض آياته من شفّة الرسول(صل الله عليه وآله). وعظماء مكّة وأهل النفوذ من قريش، كانوا عبّاد لأوثان وألدّ أعداء الدعوة الإسلاميّة، وكانت محاولاتهم شديدة في إبعاد الناس عن النبي، وعدم إعطاء الفرصة لإستماع القرآن، بحجّة أنّهُ سحر يُلقى عليهم، ومع هذا كُلّهُ كانوا يأتون خفية في الليالي المظلمة، الى قرب بيت النبي ويستمعون الى الآيات، التي كان يقرأها(صل الله عليه وآله).

وقد جدَّ المسلمون أيضا في حفظ القرآن وضبطه، لأنَّ النبي أمر بتعليم القرآن إياهُم، لقوله تعالى{وأَنزَلنَا إليكَ الذِكرَ لِتُبيّنَ للنّاسِ مَا نُزّلَ إليهِم وَلَعَلَهُم يَتَفَكَّرُونَ}النحل44. ولِأنَّهُم كانوا يعتقدون أنَّهُ كلام الله تعالى، وهو السند الأوّل لعقائدهم الدينية، ويُفرض عليهم في الصلاة قرآءة سورة الفاتحة ومقدار آخر من القرآن. ولمّا هاجر النبي الى المدينة وإنتضمت أمور المسلمين، أمر الرسول جماعة من أصحابه، بالإهتمام في شأن القرآن وتعليمه وتعلّمه، ونشر الأحكام الدينية، وما ينزل عليه من الوحي، فكانت تسجّل هذه يوما فيوما، حتى لا تضيع، وأعفى هؤلاء عن الحضور في جبهات الجهاد، كما هو صريح القرآن الكريم{وَمَا كَانَ المؤمِنونَ لِيَنفِرُوا كَآفّةً...}التوبة122.

ونظرا الى أنّ الصحابة المهاجرين، من مكّة الى المدينة، كان أكثرهُم أُميين، لا يعرفون القرآءة والكتابة، إستفاد الرسول من الأُسَراء اليهود، فأمر كل واحد من الأُسَرَاء أن يُعلّم عددا

---

[2]- ينظر:علوم القرآن، محمد باقر الحكيم،ط6،مطبعة شريعة قم،1425هـ ق،ص103.

من أصحابه، وبهذه الطريقة وجِد في الصحابة جملة متعلمون يعرفون الكتابة والقراءة، ومن هؤلاء الجماعة أناس إشتغلوا بقراءة القرآن وحفظه وضبط سوره وآياته، وهُم الّذين عُرفوا فيما بعد بالقُرّاء، ومنهم إستشهد في واقعة بئر معونة، أربعون أو سبعون شخصا، وكان كُل ما نزل من القرآن، أو ينزل تدريجا، يُكتب في الألواح أو أكتاف الشاة أو جريد النخل ويُحفظ.

والّذي لا يقبل الشكّ، ولا يمكن إنكاره، هو أنّ أكثر السور القرآنية، كانت منتشرة دائرة على ألسنة الصحابة، قبل رحلة الرسول(صل الله عليه وآله)[3].

إشكاليّة جمع القرآن بعد وفاة النبي الأكرم:

ذكر السيد الخوئي، في ردّهِ على من يقول أنّ القرآن لم يُجمع على عهد النبي الأكرم، بمجموعة ردود، بعد أن نقلَ رواياتَهُم وأدلّتَهُم، ومِن تلك الردود، هي:

أولا: أنّ الروايات متناقضة في زمان جمع القرآن، فقسم منها قالت أن القرآن جُمع في عهد الخليفة الثالث، وقسم منها في عهد الخليفة الأوّل، وقسم ثالث في عهد الخليفة الثاني.

ثانيا: أن روايات الجمع متعارضة، مع ما دلَّ على أنَّ القرآن قد جُمع في عهد رسول الله، فقد روى جماعة منهم: ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وبن حبان والحاكم والبيهقي عن إبن عباس، روايات تدلُّ على أن التدوين كان في زمن النبي الأكرم.

ثالثا: أنَّ تلك الروايات التي إستُدِلَّ بِها، تُعارض القرآن الكريم نفسه، بدليل أن إطلاق لفظ الكتاب على القرآن، في النصوصِ القُرآنيّة، وكذلك في قول النبي الأكرم(إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)يدل على أن القرآن كان مكتوبا ومجموعا، فلا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كُتب في اللخاف والعسب والأكتاف، إلّا مجازا، فيحتاج الى قرينة، ولا يُطلق لفظ الكتاب على المكتوب، إذا كان مُجزءا غير مجموع، فضلا عن إذا لم يُكتب.

رابعا: مخالفة روايات جمع القرآن بعد الوفاة لإجماع المسلمين، من أن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد الظنيّة، وإنّما يثبت بالأخبار المتواترة القطعيّة، مع ان الروايات تقول، أن طريقة الجمع كانت بشهادة شاهدين أو شاهد واحد، أي أخبار آحاد ظنيّة لا توجب العلم والقطع واليقين.

---

[3]- القرآن في الإسلام،محمد حسين الطباطبائي،ترجمة أحمد الحسيني،مطبعة سبهر، قم،ط1، 1404هـ ق، ص169.

خامسا:أنّ روايات جمع القرآن في عهد الخلفاء، كانت بصدد جمعُهُ على شَكل مَصحف مُنتظم الأوراق والصفحات،وليس بصدد عمليّة أصل تدوينه وكتابته، ونقلهُ من الصدور والجلود والأوراق المُتفرقة.

كتابةُ وجمعُ القرآن بعد وفاة النبي(صل الله عليه وآله)

يقول السيّد الطباطبائي: بعد أن إرتحل النبي(صل الله عليه وآله)، الى الرفيق الأعلى، جلس علي(عليه السّلام)ـ الّذي كان بنصٍّ من النبي أعلم الناس بالقرآن ـ في بيته، حتّى جمع القرآن في مصحف على ترتيب النزول، ولم يمض ستّة أشهر من وفاة الرسول، إلّا كان علي قد فرغ من عمل الجميع، وحملهُ على بعير.

وبعد رحلة الرسول الأعظم بسنةٍ واحدة، حدثت حرب اليمامة، التي قُتل فيها سبعون من القُرّاء، ففكّرت الخلافة حينذاك في جمع السور والآيات في مصحف واحدٍ، خوفا من حدوث حرب أُخرى وفناء القُرّاء وذهاب القرآن على أثر موتهم.

وبعد مُدّةٍ عَلِمَ الخليفة الثالث، أنّ القرآن مُهددٌ بالتحريف والتبديل، على أثر المُساهلة في أمر الإستنساخ والضبط، فأمرَ بأخذِ مُصحف حفصة،وأمر خمسة من الصحابة،منهُم زيد بن ثابت، أن يستنسخوا من ذلك المُصحف، كما أمر أن تُجمع كُل النسخ الموجودة في الأمصار، وتُرسل الى المدينة، فكانت تُحرق.

والإمام أمير المؤمنين(عليه السّلام)، بالرغم من أنّهُ كان أوّل من جمع القرآن على ترتيب النزول، وردّوا جمعهُ، ولم يُشركوه في الجمع الأوّل والثاني ـ للخليفتين ـ، مع هذا لم يُبد أي مُخالفة أو مُعارضة، وقبل المصحف ولم يقل شيئا عن هذا الموضوع، حتّى في أيام خلافته. وهكذا أئمة أهل البيت(عليهم السّلام)، أولاد علي وخلفاؤه في الموضوع، ولم يقولوا شيئا حتّى لِأخصِّ أصحابهم، بل كانوا دائما يستشهدون بما في هذا المصحف، ويأمرون الشيعة بالقراءة كما يقرء الناس.

ويمكن القول بجرءة أن سكوت الإمام علي(عليه السّلام)، الّذي كان مُصحفهُ يُخالف في ترتيب المصحف المنتشر في ترتيب النزول، لم يكن ذا أهميّة في تفسير القرآن بالقرآن، الّذي يهتم به أهل البيت(عليهم السلام)، بل المُهم فيه هو ملاحظة مجموع الآيات ومقارنة بعضها ببعض،لأنَّ القرآن الّذي هو الكتاب الدائم لكلِّ الأزمنة والعصور والأقوام والشعوب،لا يمكن حصر مقاصده في خصوصية زمنيّة أو مكانيّة أو حوادث النزول وأشباهها.

نعم، بمعرفة الخصوصيات ـ كترتيب النزول وأسبابه ـ يمكن إستفادة بعض الفوائد، كالعلم بتاريخ ظهور بعض المعارف والأحكام والقصص، التي كانت مقارنة لنزول الآيات، وهكذا معرفة كيفية تقدم الدعوة الإسلامية، في ثلاث وعشرين سنة، وأمثالها...ولكن المحافظة على الوحدة الإسلاميّة، التي كانت الهدف الدائم لأهل البيت، هي أهم من هذه الفوائد الجزئية[4].

وذكر السيّد محمد باقر الحكيم " أنَّ القرآن قد تمَّ جمعهُ فعلا على عهد الرسول الأعظم، ولكن الرأي السائد في أبحاث علوم القرآن، أنَّ جمعهُ قد تمّ في عهد الشيخين، وقد عرفنا أنّهُ يمكن التوفيق بين الرأيين، في أنَّ أصل الجمع تمَّ في عهد رسول الله(صل الله عليه وآله)، وجمعهُ على شكل مصحف منتظم الأوراق فهو مما تمّ في عهد الشيخين[5]. إلّا أن هذه المُحاولة التي تبرّع بها السيد الحكيم للتوفيق بين الجمعين، عليها مُلاحظات وإعتراضات،منها:

أولا: أنَّ أصل الإشكال هو في تحديد فترة جمع القرآن، هل كان في حياة النبي أم بعد وفاته، والمقصود من الجمع، هو كتابة القرآن باليد بجميع سوره على ألواحٍ أو جلودٍ أو غيرها، وجعلهُ في مكانٍ واحد، يُطلق عليه القرآن الكريم. ولا معنى كونهُ مُصحف مُنتظَم الأوراق، وإلّا لكانت الطبعات الحديثة المُعاصرة نوعٌ من الجمع للقرآن، مع أنّ أدوات ووسائل الحفظ والكتابة لم تتبدّل تبدّلا نوعيّا خلال فترة الخلفاء.

ثانيا: أنّ هذا الجمع المُدّعى يتعارض مع جملة روايات ونقول تاريخيّة، إذ أنَّ بعد وفاة النبي بستةِ أشهر، جمع الإمام علي القرآن في مُصحف على ترتيب النزول، وحملهُ للناس على بعير.

ثالثا: موضوع البحث هو معرفة وقت كتابة وتدوين القرآن، على أرض الواقع والحقيقة، أي نقلهُ من الصدور والرقاع والألواح المُتفرقة والمنتشرة بين الأصحاب والقُرى، الى مكانٍ واحد، في ألواح ورقاع وغيرها من وسائل الكتابة، مع قطع النظر عن الرأي السائد في أبحاث علوم القرآن، الّذي يقع فيه الإجتهاد بالرأي والشبهة وغيرها.

رابعا: أنَّ بعد ثبوت أنّ القرآن قد جُمِعَ في عهد الرسول الأكرم، فلا يُعد الجمع الّذي بعدهُ جمعا، إلّا إطلاق مجازي.

---

[4]ـ القرآن في الاسلام، مصدر سابق،ص174.

[5]ـ علوم القرآن، محمد باقر الحكيم،مطبعة شريعت قم،ط6، 1425هـ ق،ص115.

إشكال وجواب: إذا كان التدوين وجمع القرآن في عهد الرسول الأكرم، فكيف نقول بجمع علي(عليه السلام) للقرآن بعد وفاة النبي الأكرم، أليس في ذلك تناقض، حتّى قال أبن أبي الحديد المعتزلي" لو كان مجموعا في حياة رسول الله، لما احتاج الى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته"[6].

وللجواب عن الإشكال: عِدّة آراء مأخوذة عن فحوى روايات أهل البيت(عليهم السّلام)وآراء العلماء وهي:

أولا: أن جمع الإمام علي للقرآن، كان عملا تنظيميّا وفق ترتيب النزول، بصفته أعلم بمواضع وأسباب النزول، كونه من أهل بيت الرسالة والأدرى بِها. وهذا المعنى لا يتعارض مع القول بأنّ الجمع كان على عهد النبي الأكرم.

ثانيا: تشير بعض الروايات، الى أنّ الإمامَ عليّا قد جمع القرآن في عهد الرسول، إلّا أنّهُ بعد وفاتهُ قد جمعهُ بحسب ترتيب النزول، وهذا لا يلزم أن يكون مُخالفا للقرآن المُتداول، في سوره وآياته، دون زيادة أو نقيصة.

ثالثا: وردّ أن النبي قال لعلي، في مرضه الّذي توفي فيه:" يا علي هذا كتاب الله خُذهُ إليك، فجمعهُ عليٌ في ثوب فمضى به الى منزله، فلمّا قبض النبي، جلس علي فألّفهُ كما أنزله الله وكان بهِ عالما "[7].

أي انَّ عليّا جمع القرآن بأمر النبي، وتحت إشرافه، وهذا القول لا يتنافى مع القول بإنّ تدوين القرآن كان في حياة النبي الأكرم، ولا يتنافى أيضا القول بأنَّ الإمام علي أوّل من جمع القرآن، إذ أنَّ كتابة علي للقُرآن في حياة النبي، يُمكن نسبتُها للنبي، ويمكن نسبتها الى الإمام عليّ،وأنّهُ أوّل من دوّن القرآن،فيصحُّ إطلاق النسبتين معا على النبي وعلى الإمام علي(عليهم السلام).

وقد وردَ عن الإمام علي(عليه السلام)،قال:(كنتُ إذا سألتُ رسول الله أجابني، وإذا فُنيت مسائلي إبتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار،ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا أخرة، ولاجنّة ولا نار، ولاضياء ولا ظلمة،إلّا أقرأنيها وأملاءها علي، وكتبتها بيدي،وعلمني تأويلها وتفسيرها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، وكيف نزلت، وأين نزلت، وفيمن نزلت)[8]

---

[6]- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج1، ص43.

[7]- بحار الأنوار، المجلسي،دار إحياء التراث، بيروتج89، ص52.

[8]- كمال الدين، الصدوق محمد بن علي بن بابويه ت381هـ،تعليق علي أكبر،ط1، 1390هـ ق، ج1، ص284.

قول الإمام الباقر(عليه السلام): "ما إدّعى أحدٌ من الناس، أنّهُ جمع القرآن كلّهُ كما أنزل إلّا كذب،وما جمعهُ وحفظهُ كما نزله الله تعالى، إلّا علي بن أبي طالب وأولادهُ من بعده"[9]. فجمعهُ علي في ثوب أصفر، ثُمَّ ختمَ عليه في بيته، وقال:" لا أرتدي حتى أجمعهُ... وكان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه "[10]. وهذه الروايات لا تعني أنّ قُرآن عليٍّ يختلف في سوره وآياتهِ القرآن الشائع لدى المسلمين، بل يُطابقهُ، غايةُ الأمر أنّهُ يحتوي على تفسير وتأويل وترتيب النزول. قال السيّد جعفر العاملي في هذا الصدد:" لا يعني أنّ الموجود بين أيدينا فيه نقصٌ، بل هو نفسُ قرآنُ علي، بلا زيادة ولا نقصان، والفرق بينهما، إنّما هو في أنّ القرآن الّذي جمعهُ علي، قد كَتَبَ فيه بيان الناسخ من المنسوخ، والمُحكم والمتشابه، وفيه شأن النزول، وفي مَن نزلت الآية أو السورة، وأين ومتى نزلت، وغيرذلك"[11].

الخُلاصةُ: مدرسة الصحابة: ترى: عدم جمع القرآن في مصحفٍ واحدٍ في عهد الرسول(صل الله عليه وآله)، وهذا ما ذهب اليه جمهور السُنّة، وأنّ رسول الله كان كلما نزلت أية، جمعَ كتّاب الوحي وحفّاظ القرآن، فيحفظونه ويكتبونه، ولكن لم يكن مجموعا في مصحفٍ واحدٍ في عهد الرسول، وقد جُمعَ القرآن في مصحف واحد في عهد الخليفة الأوّل، وهذا هو الجمع الأوّل. ثُمَّ حفظ المصحف عند الخليفة الثاني، خلال مُدّة خلافته، ثُمَّ عند حفصة إبنتهُ. وفي عهد الخليفة الثالث، تنبّه حذيفة بن اليمان، خلال حربه في أرمينيا وآذربيجان، الى إختلاف لهجات الناس، أسرع الى الخليفة،وقال له: إدرك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في القرآن إختلاف اليهود والنصارى، فأرسل الخليفة الثالث الى حفصة بنت عمر،وطلب المصحف الّذي في بيتها، لِنسخه الى مصاحف متعددة[12].

مدرسة أهل البيت(عليهم السّلام): أنّ أوّل من جمع القرآن بِأمرِ النبي وفي حياته، هو الإمام علي لِأهميّة القرآن والخوف عليه من التحريف والضياع، وكان جمعا في مصحف واحد، من غير شرح أو تفسير أو بيان لِأسباب النزول والبيان والنسخ وغيرها. وبعد وفاة النبي الأكرم، قام الإمام علي بجمعهِ على ترتيب نزول السور،وأساليب البيان والنسخ وغيرها. حتى روي أن عليّا آل على نفسه أن لا يضع رداءه على عاتقه إلّا للصلاة حتّى يؤلّف القرآن، فإنقطع مُدّة ثُمَّ خرج بهِ في أزار يحملهُ، والمسلمون مجتمعون في المسجد، فلمّا توسطهُم وضع الكتاب بينهُم[13]

---

[9]- أصول الكافي، الكليني،ج1، ص345.
[10]- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج89، ص48.
[11]- حقائق هامّة حول القرآن الكريم،جعفر العاملي،مؤسسة النشر الاسلامي،قم،1410هـ ق، ج1، ص63.
[12]- دروس مُيسرة في علوم القرآن، د علي الأوسي، ط1، 1435هـ - 2014م، ص54.
[13]- المناقب، ابن شهر آشوب،محمدبن علي، دارالأضواء بيروت،ط2، 1991م، ج1، ص32. البيان، للخوئي، ص251.

ترتيب الآيات والسّور في المصحف

يقول الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: لا شكَّ أنّ السور والآيات، لم تثبت في القرآن على ترتيب النزول على النبي(صل الله عليه وآله)، وأنّ علماء الإسلام الماضون، يعتمدون في ترتيب السور والآيات على ما جاء في الأثر- لدى الصحابة-، ومن جُملة تلك الآثار، ما ورد عن إبن عباس من ترتيب النزول، أنّهُ قال: " كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة، كُتبت بمكّة، ثمَّ يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أول ما نزل من القرآن:1- إقرأ، 2- ثُمّ ن، 3- ثُمَّ المزمل، 4- المدثّر، 5- تبت يدا أبي لهب، 6- إذا الشمس،7- الأعلى، 8- والليل إذا يغشى9- الفجر،10- الضحى، 11- ألم نشرح، 12- العصر، 13- العاديات، 14- التكاثر، 15- أرأيت الذي يكذب،16- الكافرون، 17- الفيل، 18- الفلق، 19- الناس، 20- الإخلاص، 21- النجم، 22- عبس، 23- القدر، 24- الشمس،25- السماء ذات البروج 26- التين، 27- الإيلآف، 28- القارعة،.... ثُمَّ أنزل في المدينة: 86: البقرة 87- الأنفال 88- آل عمران 89- الأحزاب 90- الممتحنة 91- النساء، .....113- براءة "[14].

يقول الطباطبائي مُعلِّقا على حديث إبن عباس: أنَّهُ عددّ السور(113) لم يذكر سورة الفاتحة.

وفي حديث رواه البيهقي[15]. عن عكرمة يحدد عدد السور(111). ولم يذكر فيه الأعراف والفاتحة والشورى. كما أنّهُ روى حديثا آخر عن إبن عباس، ذكر فيه عدد السور(114)، وكلا الروايتين إعتبرتا سورة المطففين من السور المدنية، خلاف للحديث المُتقدّم حيث جعلها آخر السور المكيّة بالتسلسل(85) المُتقدّم. وكذلك يختلف ترتيب السور بين جميع هذه الأحاديث.

وإستعرض الطباطبائي عدّة مرويات عن علي بن أبي طلحة، وعن عكرمة، وعن قتادة، وجميعها مرويّة في كتاب الإتقان للسيوطي، وبيّن وجه الإختلاف فيما بينها، ثُمَّ قال: لا يمكن الإعتماد عليها بوجه من الوجوه، لأنّهُ ليس لها قيمة علميّة لكونها لم يتصل سندها بالنبي الأكرم، ولم يُعلم أن إبن عباس قد تعلّم الترتيب من النبي، أم من شخصٍ آخر، أو هو إجتهاد. كذلك ليس لها قيمة تاريخيّة، لكون إبن عباس أدرك النبي مدّة قصيرة، ولم يكن معهُ دائما حتى يُشاهد كيفية نزول كل هذه السور والآيات، ولعلّهُ نقله من شخص آخر. وعلى فرض صحّة الروايات، فهي أخبار أحاد، ليس لها حجّة[16]، للإجماع أن القرآن لا يثبت بإخبار الآحاد.

---

[14]- القرآن في الإسلام، الطباطبائي، ص159، م. س.

[15]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ت911هـ، تحقيق محمدابو الفضل، وزارة الشؤون السعودية،ج1، ص10.

[16]- القران في الإسلام، الطباطبائي، ص167.

كيفيّة معرفة وتعيين الآية

يرى الزرقاني: أنّهُ لا سبيل الى معرفة وتعيين الآية إلّا الشرع وتوقيفه، ولا إجتهاد أو قياس أو رأي في المسألة، بدليل أنّ العلماء عدّو(المص)آية، ولم يَعدّوا نظيرها(المر)آية. وعدّوا(يس) آية، ولم يَعدّوا نظيرها(طس)آية. وعدّوا(حمعسق)آيتين، ولم يعدّوا نظيرها (كهيعص)آيتين، بل آية واحدة. فلو كان الأمر مبنيّا على القياس لكان حُكم المثلين واحدا. وذلك مذهب الكوفيين، إذ جعلوا كل فواتح السور التي فيها حروف الهجاء، آية واحدة، إلّا (حمعسق)و(طس)،فقد عدّوها آيتين. وكذلك لم يعتبروا من الآيات ما فيه(ر)مثل (الر) و(المر) وكذلك ما كان مفردن مثل(ق،ص،ن)، كُلّ ذلك ليس من الآيات، وإن كان كلام الله تعالى.

أمّا غير الكوفيين، فلا يُعدُّ شيئا من فواتح السور آيات على الإطلاق، وكُلٌّ لهُ دليله، وليست المسألة بالرأي والقياس، وإنّما توقيفية من الشارع.

كيفيّة معرفة وتعيين الأية: قال الزرقاني: أن معرفة الأيات منهُ سماعي توقيفي، ومنه قياسي. والمرجع في ذلك، هو ما كان توقّف النبي الأكرم عليه دائما، فهي فاصلة بين الآيات، وما وصلهُ دائما فهو ليس فاصلة. وإذا وقف مرّة ووصل مرّة أخرى،فالوقف لتعيين الفاصلة والوصل لتعيين عدم الفاصلة، وهنا يمكن القياس وهو إلحاق غير المنصوص عليه،بحسب المقتضى،ولا محذوف في ذلك، لكونه لا يؤدي الى زيادة أو نقيصة[17].

هل البسملة آيةٌ في القرآن: وتظهر الثمرة في تعيين فواصل الآيات،مثلا إتفق العلماء أنّ سورة الحمد هي السبع المثاني، التي وردت في الروايات،وإختلفوا في أنَّ البسملة هل تُعدُّ آية أم لا. فمن جعلها آيةً من سورة الحمد،لزم أن يكون(صراط الذين أنعمت عليهم...الى آخر السورة)آية واحدة، وهي الآية السابعة من سورة الحمد. ومن قال أنّها ليست آية،لزم أنّ(صراط الذين أنعمت عليهم)آية سادسة، و(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)آية سابعة[18]. ويبدو من هذا الكلام،ان تعيين الآيات ليس قياسيا أو سماعيّا عن النبي،بقدر ما هو إتفاق العلماء أن سورة الحمد هي السبع المثان الواردة في الروايات،وعليه عيّنوا آياتها. والله العالم.

عدد آيات القرآن:نقل الزرقاني عن صاحب التبيان، أن عدد آيات القرآن(ستة آلآف ومئتان وكسر)وإختلفوا في الكسر الى أقوال، وقيل في سبب الإختلاف ان النبي كان يقف على رؤوس الأي ليُلّم أصحابه أنها رؤوس آيات،ثُمَّ يُكمل، فيظن البعض ان النبي وقف ليس لنهاية آية،

---

[17]- مناهل العرفان في علوم القران،محمدعبد العزيز الزرقاني،دار احياء اتراث، بيروت،مج1،ج1، ص335.

[18]- المصدر نفسه، ص336.

وإنما لبيان المعنى بعد إكمالها بما بعدها. وقيل أن وقف النبي على رأس الآية بمعنى إستقلالها ولا علاقة لها بما بعدها[19].

فوائد معرفة الأيات وتعيينها: أولا: معرفة الحدِّ الأدنى من تحقق المُعجزة،وهي ثلاث آيات، لقوله تعالى:(فأتوا بسورةٍ من مثله)للتحدي،وأقل السور تتكوّن من ثلاث آيات، وهي (الكوثر). فثبت أنّ كُل ثلاث آيات تُعدُّ تحدّي.

ثانيا: الوقف على الآيات تُعدُّ سُنة لدى البعض،لورود أن النبي كان يُقطّع قِرآءته الى آيةٍ آيه،كما في حديث أبو داوود عن أُمِّ سلمه، ولكن ضعّف ذلك الحديث صاحب كتاب (التبيان في علوم القرآن) للصابونجي، وقال: حديث غريب وغير مسند.

ثالثا: لِأجل تطبيق الأحكام الشرعيّة،كما في وجوب قرآءة آية كاملة في الصلاة أو في الخطبة، ولا يكفي بعظها[20].

ترتيب الآيات في القرآن:إنعقد إجماع الأُمّة، على أنّ القرآن على هذا النمط الذي نراه اليوم كان بتوقيف النبي الأكرم،ولا مجال للإجتهاد بالرأي فيه،وكان جبرائيل ينزل بالآيات ويُرشد النبي الى موضع كل آية من سورها،فيقرءوها على أصحابه،ويأمر الكتّاب بكتابتها مُعينا لهُم السورة والآية،وكان يتلوه عليهم مرارا وتكرارا، في صلاته وعظاته وحُكمه،وكان يُعارض به جبرائيل كل عام مرّة، وفي العام الأخير مرتين،كُلُّ ذلك على الترتيب المعروف لنا في المصحف، وكان حفظ القرآن على هذا الترتيب،وملأ الأسماع والبقاع، ويتدارسونه فيما بينهم ويقرءونه في صلاتهم.

ترتيب السور في القرآن وتجزءته: السورة إصطلاحا: تعني طائفة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع،وقيل مأخوذ من سورِ المدينة،حيث توضع لبنة على لبنه،ولِما في السور من العلو والرفعة.

فائدة التجزءة :

أولا: التجزءة الى سور وآيات،التيسير في الحفظ والمدارسة والتعلّم للقرآن، فلو كان القرآن سبيكة واحدة لصعب الحفظ، من قبيل تجزءة الطريق الى محطات.

---

[19]- مناهل العرفان، الزرقاني، ص337،م.س.

[20]- نقلا عن مناهل العرفان، للزرقاني،ص339،م. س.

ثانيا: للدلالة على موضع الحدث وموضع الكلام،ففي كل سورة موضعا بارزا وعلامة بارزة، كسورة البقرة ويوسف والأنعام والنحل وغيرها.

ثالثا:أن الجنس إذا إنطوت تحته أنواع وأصناف، كان أحسن ما لو كان بابا واحدا.

رابعا: ترتيب وتنظيم المعاني بحسب الأشكال والنظائر، ومُلاءمة بعضها الى بعض،مما يبعث الشوق في النفوس والأذهان.

أقسام السور: قسم العلماء السور الى أربعة أقسام،وهي:

1- الطوال: وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف،وهذه متفق عليها، وإختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا، لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس.

2- المئون: التي تزيد على المائة بقليل آية أو تقاربها.

3- المثاني: التي تلي المئين في العدد.

4- المفصل: وهي أواخر القرآن،وإختلفوا في أوّل هذه السور،وسُميت بسور البسملة لكثرة الفصل بينها بالبسملة، وقيل لقلّة المنسوخ منها، ولذا سُميت أيضا بالمُحكم.

والقسم الأخير(المفصل)، ينقسم الى ثلاث أقسام أيضا(طوال وأوساط ووقصار).

فالطوال: من أول الحجرات الى البروج.

الأوساط: من سورة (الطارق) الى سورة(لم يكن).

القصار: إذا زلزلت الى آخر القرآن.